مجلة العلوم الإنسانية والحضارة ـــ ISSN 2661-7307
المجلد 07 ـ العدد 01 ـ السنة 2025 ص 64 -82 EISSN 2773-4048
https://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/730
https://doi.org/10.34118/jhc.v7i1.4718

رمزية الوشم لدى المرأة في منطقة تيارت بين العلاج والتجميل

The symbolism of tattoos for women in the Tiaret region between treatment and beautification

د. مكيد إبراهيم [1*] ، د. بقة بالخير [2]

[1] جامعة بشار-الجزائر- *brahim.makid@univ-bechar.dz*

[2] جامعة ابن خلدون تيارت -الجزائر- *Faridb12@hotmail.fr*

تاريخ الإرسال: 2024/12/01 تاريخ القبول: 2024/12/25 تاريخ: النشر: 2025/01/01

الملخص:

يعتبر الوشم من بين الممارسات التي عرفتها المجتمعات القديمة، حيث ارتبط بالعديد من المعتقدات التي عرفت تطورا عبر مختلف المراحل، ولا يزال طقس الوشم مستمرا إلى يومنا في العديد من مناطق الوطن، بما فيها منطقة تيارت حيث كان الريف بوابة ممارسة هذه العادة ومنه انتقلت ممارستها إلى المدينة، ويعرف انتشارا واسعا في المنطقة خاصة في الوسط النسوي، أين تختلف الغايات بينهن وراء ذلك. وقد ارتبط الوشم في المنطقة بالزينة والجمال لدى المرأة التيارتية، كما كان له وظائف وقائية، على اعتبار أن الوشم قد يقي من بعض الأمراض، أي الاعتقاد بقوة الوشم السحرية في مواجهة الامراض خاصة ما ارتبط منها بالسحر والعين وغيرهما..، ويمكن اعتبار هذه الغايات سببا في بقاء ممارسة الوشم بالمنطقة وعدم اندثاره رغم قلة ممارسة هذا الطقس اليوم، كما يتميز الوشم بتعدد أشكاله ورسوماته، وكذا تعدد مناطق رسمه في الجسد وعليه ويمكن اعتبار الوشم بالمنطقة مدونة انثروبولوجية تعبر عن كينونة المرأة التيارتية ووجودها الطبيعي والثقافي.

- **الكلمات المفتاحية:** تيارت، الوشم، السحر، العلاج، الزينة، المرأة

* المؤلف المرسل

https://doi.org/10.34118/jhc.v7i1.4718

Abstract:

Tattoos are among the practices that ancient societies have known, and the weather has been associated with many beliefs that have developed through various stages, and the weather continues to this day in many regions of Algeria, including the region of Tiaret where tattoos are spread, and the countryside or the Badia was the gateway to practice This ritual and from it his practice moved to the city, and there is a spread in the region especially among the feminist milieu, where the goals differ between them behind this practice. Tattoos in the region have been associated with the goals of ornamentation and beauty of the women in the movement, as it had preventive functions, given that the tattoo may protect against some diseases, i.e. belief in the power of magic tattoos in the face of diseases, especially those related to magic, the eye, etc. .., and these goals can be considered a reason The practice of tattooing remains in the region and does not disappear despite the decline in the practice of this weather today .. Also, tattooing in the region is characterized by the multiplicity of its forms and drawings, as well as the multiplicity of areas drawn in the body .. Accordingly, tattooing in the region can be considered an anthropological code that expresses the woman's being and its natural and cultural presence.

-key words: *Tiaret, tattoos, magic, therapy, decorations, women..*

مقدمة:

يعتبر الوشم من الممارسات التي عرفتها المجتمعات القديمة، وقد ارتبط الطقس بالعديد من المعتقدات التي عرفت تطورا عبر مختلف المراحل، وبالتالي يمكن اعتباره مرحلة من الرقي الانساني، ولم يكن المجتمع المغاربي بمنأى عن هاته الممارسة، إذ عرف سكان المغرب الوشم منذ القديم، واستمرت ممارسته بعد الفتح الاسلامي رغم أن الاسلام قد حرمه إلا انه ما يزال مستمرا إلى يومنا في العديد من المناطق بما فيها منطقة تيارت ، ومن هنا نطرح الاشكال: ما هي خصائص ووظائف الوشم في منطقة تيارت؟ وكيف انعكس الوسط المحلي على الوشم؟

https://doi.org/10.34118/jhc.v7i1.4718

I- ماهية الوشم:

1- تعريف الوشم (Tatouage):

أ- الوشم لغة: جاء في لسان العرب لابن منظور: "الوُسُومُ والوُشُومُ العلامات.. والوشم ما تجعله المرأة على ذراعها بالابرة ثم تحشوه بالنَّنُور، وهو دخان الشحم، والجمع وُشُوم ووِشام"[1]. وأصل كلمة (Tatouage) بولينيزي، والكلمة (Tatou) مركبة من مقطعين (Ta) تعني الرسم على البشرة، و(Atoua) وتعني الفكر، وبالتالي فمعنى الكلمة ارتباط البشرة بالروح. وأول من أشار إليها هو البحار جيمس كوك سنة 1769م في وصفه للظاهرة بأن الرجال والنساء يزينون أجسادهم ويسمونه تاتو[2].

ب- الوشم اصطلاحا: عبارة عن رسومات على جلد الانسان تنتج عن طريق غرز الإبر في الجلد بألوان ذات مواصفات خاصة، إما الكحل، أو سماد النار، أو أصباغ كيماوية خاصة، وذات ألوان متعددة، واللون الأخضر هو الغالب والأكثر، أما الهدف منها فالغالب أنه للزينة أو علامة تميز القبائل بعضها عن بعض فيوشم الاطفال الصغار لكي يعرفوا عند فقدانهم، أو تكون مرتبطة بمعتقدات كدفع الضر أو جلب الخير ونحو ذلك[3].

2- تاريخ الوشم:

تمتد جذور الوشم إلى عصور ما قبل التاريخ، إذ اعتبره الإنسان تعويذة ضد الأرواح الشريرة ووقاية من السحر، وقد عرف الوشم في عدة مناطق، فأول وشم معروف على جسم الإنسان يرقى إلى حوالي 6000 سنة قبل الميلاد، وجد في رسوم الكهوف في أوروبا[4]، كما عثر على عديد الجثث التي تعود إلى العصر الحجري الحديث في جنوب أمريكا الى حوالي الألف السادس قبل الميلاد. وهو ما يثبت وجود ممارسة الوشم، كما كان الوشم في فترة فجر التاريخ ذا طابع قبلي، حيث اتخذت القبائل بعض الحيوانات والنباتات طوطما لها[5].

وكلمة الطوطم التي تدل على أصل حيواني أو نباتي تتخذه العشيرة رمزا لها ولقبا لجميع أفرادها، ويعتقدون أنها تؤلف معه وحدة اجتماعية[6]؛ إذ يعتبرون أنفسهم أعضاء في عائلة واحدة تجمعهم قرابة من نوع خاص، تنشأ عن حملهم جميعا لاسم واحد اختاروه لأنفسهم، فهو في الوقت نفسه اسم لفصيلة من الحيوان في أغلب الأحيان أو النبات[7]، ومعنى ذلك أن القرابة لا تقوم على أساس وحدة الدم وإنما يرتبط أفراد القبيلة بوحدة قرابة اصطلاحية، تقوم على أساس اشتراكهم في اتخاذ الطوطم اسما لهم واتحادهم في النظم

https://doi.org/10.34118/jhc.v7i1.4718

الاجتماعية واشتراكهم في نفس العادات والتقاليد والطقوس التي يلتزمون بأدائها نحو الطوطم[8]، وتنزل الأمور التي ترمز إليه منزلة التقديس[9]، تقديس يُلزم أفراد العشيرة على تحريم لمسه إذا كان جمادا إلا في المناسبات الدينية قصد التبرك، ويحرم قتله أو صيده إن كان من الفصيلة الحيوانية، ويحرم أكله أو قطعه إذا كان من المملكة النباتية[10].

ويعرف فرويد الطوطم في كتابه (الطوطم والتابو) بقوله: "في العادة حيوان يؤكل لحمه، مسالم أو خطر، مخيف، وهو في النادر شجرة أو قوة طبيعية (مطر، ماء)، ذو علاقة خصوصية مع كامل العشيرة، فالطوطم هو أولا الأب للعشيرة، ومن ثم الروح الحامية لها والمعين، الذي يرسل لها الوحي.. من أجل ذلك يخضع أبناء الطوطم لالتزام المقدس، رادع ذاتي يقضي بألا يقتلوا طوطمهم، وأن يستغنوا عن لحمه، ولا ينحصر الطوطم بحيوان معين أو بكائن مفرد، بل يشمل جميع أفراد النوع. يجري توارث الطوطم من الأم أو من طرف الأب، ومن المرجح أن تكون الطريقة الأولى هي الأصلية عموما، وفيما بعد حلت محلها الطريقة الثانية، ويعتبر الانتماء إلى الطوطم هو الأساس لجميع الالتزامات الاجتماعية، فهو من جهة يوضع فوق الانتماء القبلي، ومن جهة يتغلب على قرابة الدم، والطوطم ليس مرتبط بالأرض والمكان فيسكن أبناء الطوطم الواحد منفصلين عن بعضهم، ويعيشون بسلام سوية مع أتباع الطواطم الأخرى.."[11].

وعندما كانت تطبع صور الطوطم على جسم الانسان المراد امتزاجه بطوطمه كان لا بد من خروج الدم لكي يمتزج به امتزاجا ماديا ومعنويا، ومن هنا نشأت عادة الوشم، وكانت ذات دلالة أسطورية، واستمرت متوارثة بين أفراد القبيلة، وانتشرت بذلك الرموز التي وجدت على جلود بعض أفراد القبائل[12].

وفي العراق القديم أثبتت التحريات الأثرية قدم ظاهرة الوشم في المنطقة، فقد عثر في موقعي حسونة وتل الصوان على بقايا جرار فخارية في أواخر الألف السادس قبل الميلاد عليها رسوم نسائية على وجناتها أنواع مختلفة من الوشم، وهو ما يعني أن الموشم كان من العادات شائعة الاستعمال في الجزء الظاهر من جسد المرأة، وكان غرضه التصدي للعين وطرد الشر، ومارست النساء السومريات الوشم واستخدمنه للزينة كذلك[13].

ووجد الوشم على بعض المومياوات المصرية، واستخدمه المصريون القدماء كعلاج ظناً منهم أنه يبعد الحسد، فكان بذلك الوشم تعويذة ضد الأرواح الشريرة، ووقاية من

https://doi.org/10.34118/jhc.v7i1.4718

أضرار السحر، كما عد عندهم من الطرق التجميلية القديمة خاصة عند النساء والتي يرجع تاريخها إلى أكثر من أربعة آلاف سنة، فقد وجدت جثث ومواد محنطة تحتوي على الوشم، والتي يقصد بها إما تزيين الجلد أو وضع علامة تميز قبائل وعوائل معينة أو غير ذلك وكانت المرأة المصرية ترسم وشماً أسفل الوجه وتحت الشفة وعلى ظهر اليد والرسغ أما الرجل فكان يكتفي بوشم صورة لطائر ما على الصدغ لحماية الرأس من الصداع واقتصر الوشم عند الشباب على وضع نقطة فوق الذقن، وأخرى على الجانب الأيمن من الأنف للحماية من آلام الأسنان، وثالثة في بداية الجفن للحماية من أمراض العين[14]. كما ظهر الوشم في مصر القديمة على أجساد الراقصات وبشكل خاص في منطقتي الصدر والأكتاف، وأن الأجزاء الموسومة من أجسامهن تطابق مكان الحلي[15].

واستخدمه الرومان كختم لإثبات ملكية العبيد، حيث يتم وشم العبيد على وجوههم قبل تصديرهم، وقد استمر استخدام الوشم في هذه الأعمال حتى قيام الامبراطور قسطنطين الأول بحظر فعله على وجه الانسان سنة 330 م[16]، ثم تم تحريمه بعد ظهور المسيحة منذ مجموع نيقية[17].

وعرف الوشم عند العرب في شبه الجزيرة باعتباره زينة تفتخر وتتباهى به المرأة، وتفننت المرأة العربية قبل زواجها في نقش أطراف جسدها بالرسوم الجميلة، لاسيما اليد، فمن أجزاء اليد الكف، المعصم، الذراع ضف إلى ذلك الساق، وهي أكثر الأجزاء الموشومة التي تغنى بها الكثير من شعراء الجاهلية[18]، فيذكر زهير بن أبي سلمى:

يَلُحنَ كأنّهن يدا فتاة تُرَجّعُ في معاصِمها الوُشُومُ[19]

ويصور لمعارف الديار الخالية مشبها رسومها المتبقية بصورة بالوشم:

هَاجَ الفُؤادُ معارِفُ الرَّسمِ قَمربذي الهضبات كالوَشمِ[20]

ونفس القصد نجده عند عنترة بن شداد في سياق حديثه عن آثار عبلة:

ألا يا دارَعبلة بالطّويّ كرجعِ الوشم في كفِّ الهديّ[21]

ويتخيل الأعشى أنه ضاجع حبيبته واشتمل عليه ساعدها يزينه الوشم، وقد بدا كأنه جلد مزخرف:

تَرُدُّ مَعطُوفَ الضَّجِيعِ على غَيلٍ كأَن الوشْمَ فيه خِلَلْ[22]

https://doi.org/10.34118/jhc.v7i1.4718

غير أن الإسلام نهى عن مثل تلك السلوكيات (الوشم)، فقد روي عن ابن مسعود عن النبي ﷺ: **(لَعَنَ اللَّهُ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ وَالْمُتَنَمِّصَاتِ وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ، الْمُغَيِّرَاتِ خَلْقَ اللَّهِ)**[23]. وتحريم الوشم في الاسلام جاء لما فيه من حبس الدم بين اللحم والجلد، ولما فيه من إيذاء للجسد وتغيير لخلق الله، والمعنى الذي حُرم لأجله الوشم هو تغيير خلق الله، إضافة إلى إيلام وتعذيب جسم الانسان[24]. قال تعالى: ﴿ **وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا (119)** ﴾[25]. وجاء في تفسير ابن كثير المقصود بتغيير خلق الله هو الوشم[26].

3- **أنواع الوشم:** للوشم نوعان:

أ- الوشم الدائم: وهو الوشم المتعارف عليه منذ آلاف السنين، ويتم بواسطة الإبر، وهذا النوع لا يمكن إزالته إلا بعملية جراحية وقسم إلى أنواع:

- الوشم الاحترافي: يقوم به شخص محترف بواسطة جهاز خاص، ويكون على شكل رسوم وبألوان متعددة.
- الوشم الطبي: يستخدم غالبا لأصحاب الأمراض الخطرة من أجل تحديد موقع المنطقة التي سوف تتعرض للإشعاع أو العلاج.
- الوشم التجميلي: كرسم الحاجب أو وضع كحل للعينيين، ويتم بواسطة مواد مخصصة، ويستخدم أيضا بعد العمليات الجراحية، أو في حالة الاصابة بالبهاق.
- وشم تحديد الهوية: وشم يخص المعتقلين والعبيد من أجل تحديد هويتهم وعادة ما يكون في اليد.
- وشم الاجات: ناتج عن دخول مواد كالإسفلت أو سن قلم رصاص داخل الجلد نتيجة حادث.

ب- الوشم المؤقت: وشم يمكن إزالته كالحناء أو الأصباغ الجديدة التي تخص الجمال، وهي ثلاث أنواع:

- رسم بالحناء.
- تاتو طويل من ستة أشهر إلى سنة.
- التاتو المرادف للوشم، ويكون بالحقن[27].

https://doi.org/10.34118/jhc.v7i1.4718

4- المواد المستخدمة:

- الكحل.
- رماد النار والفحم
- عصارة النباتات.
- مواد كيمياوية.
- أكسيد المعادن كالحديد والكوبالت (يعطي اللون الازرق الفاتح).
- عمليات جراحية تغير لون الجلد.
- حبيبات الكبريت تعطي اللون الأصفر.
- الزئبق وصبغات نباتية تعطي اللون الأحمر.
- الزعفران والعُصفر والكركم التي يعطي اللون الأصفر.
- ملونات ذات أصل حيواني.

أما الأدوات المستعملة للوشم:

- الإبر الثاقبة للجلد
- السكاكين الدقيقة.
- إبر موصولة بجهاز صغير بواسطة أنبوب وتحتوي على صبغة ملونة، وفي كل مرة تغرز الإبرة تدخل قطرة صغيرة من الحبر[28].

II- الوشم في تيارت ووظائفه:

1- الوشم في تيارت:

تعود بداية ظهور الوشم في منطقة المغرب إلى فترة موغلة في القدم، حيث صنف الباحث بارتولون (Bertholon) بعض الرسوم التي اكتشفها أثناء قيامه بحفريات استهدفت قبورا شرق ليبيا، وقد أرجع ظهور الوشم إلى العهد الأشولي أي خلال الألف الحادي عشر قبل الميلاد، كما عُثر على أقنعة طينية تعود إلى العهد القرطاجي تظهر فيها رسومات لرجال ونساء يحملون على أجسادهم وشوما مختلفة الأشكال كالهلال والخطوط العمودية والدوائر والتي غالبا ما تتركز في الوجه.

والمجتمع الجزائري كغيره من المجتمعات المغاربية، حافظ على ثقافته رغم فترات الاحتلال التي تعاقبت عليه، إذ عرف صناعة الحلي، كما عرف صناعة الزرابي والأواني

https://doi.org/10.34118/jhc.v7i1.4718

الفخارية. وأتحفها برسومات تعبر عن الواقع الجزائري، كما حافظ على ظاهرة الوشم الذي يعتبر من الظواهر الاجتماعية التي ارتبط ظهورها بالبادية، وتطورت في المدينة[29].

ولظاهرة الوشم مكانة مرموقة في تيارت، وهو ما تدلنا عليه الرموز العديدة الموجودة على جباه ووجوه من تخطو الخمسين سنة من أعمارهم، إذ جسدوا تلك الأشكال في فترة شبابهم، وعليه فالوشم في المنطقة عادة قديمة وكان للمرأة ولعا كبيرا به، حتى صارت قانونا اجتماعيا ملازما لبعض الطقوس كالزواج، وعليه تحددت قاعدة عدم إقبال الفتاة على الزواج في فترة سابقة دون أن تكون موشمة، وأن العروس ملزمة بوشم وجهها قبل الذهاب لبيت زوجها وذلك نظرا لما تضفيه رموز الوشم من جمالية على العروس، كما أنه دليل على بلوغها ونضجها، وعلامة استعداد لمجابهة العالم الذي ستنتقل إليه وهو بيت الزوجية وما يحمله من مشاق خاصة في تلك الظروف التي عاشتها المرأة والمرتبطة بالاحتلال الفرنسي.

فقد عد الوشم في تيارت بالإضافة لغاياته السابقة في مرحلة الاحتلال الفرنسي كنوع من أنواع المقاومة السلمية، إذ تذكر بعض نساء المنطقة أن المرأة اتخذت الوشم في هذه المرحلة لكي تقاوم به جنود المحتل الفرنسي، وكنوع من أنواع الحماية من الاغتصاب والسبي من طرف الجنود الفرنسيين الذين كانوا يختطفون الفتيات، لذلك عملن على وشم البنات، وهنا الوشم هدفه تشويه الوجه لا التزيين، لكي لا يلقين إعجاب الجنود، وبالتالي لا يتعرضن للاختطاف والاغتصاب، حتى أن إحداهن من مدينة مغيلة تذكر أنها قامت بوشم خمسة عشر فتاة خوفا من الجنود الفرنسيين وحماية لهن. وهو وإن دل على شيء فإنما يدل على ذكاء وفطنة المرأة من جهة، ومن جهة أخرى تشبثها بعاداتها وتقاليدها، ووسيلة لحفظ كرامتها. وبالتالي فقد عبر الوشم عن كينونة وهوية المرأة التيارتية ووجودها الطبيعي والثقافي.

2- رموزوأدوات وطريقة الوشم في المنطقة:

أ- الرموز الموشومة بتيارت: تنوعت وتعددت الأشكال والرموز الموشومة على أجساد نسوة المنطقة، وهذا التنوع والتعدد يعود سببه إلى أهداف وغايات الوشم، وإلى المتوشمة في حد ذاتها وكذلك إلى المُوشم، وحسب خصوصيات كل منطقة في تيارت، إذ نجد أن الرموز مستوحاة من الطبيعة ومن أشكال النباتات وكل ما ارتبط بالمنطقة.... وغيرها من الأسباب التي أدت إلى ذلك التنوع، علما أنه لا يمكن حصر كل الأشكال والرموز نظرا لاتساع مجال الدراسة (ولاية تيارت)، لكن نجد من الأشكال الموشومة على أجساد نساء المنطقة:

https://doi.org/10.34118/jhc.v7i1.4718

- النقطة أو مجموعة نقاط، الخط أو الخطوط (السيالة)
- حيوانات مثل الأفعى والعقرب..
- نباتات مثل السنبلة والنخلة (على الجبهة خاصة)
- خطوط متوازية (تشراط)
- رموز فلكية: الشمس، الهلال، النجمة..
- أشكال هندسية وزخرفية مثل: دائرة، دائرة مقسمة إلى أربعة أقسام (يطلق عليها الساعة)، المعين، المثلث، المربع، علامة الزائد أو الخطان المتقاطعان أو الصليب...وغيرها من الأشكال التي نجدها في أغراض أخرى كالزربية مثلا.
- أشكال أخرى: بعضها أو الكثير منها غير محدد ومعروف، وليس له غرض معين..

ب- مو اقع الوشم: تقع الوشوم وخاصة وشوم المرأة، في مختلف مناطق الجسد، مثل الرأس، والجبهة، وما بين الحاجبين، والخد، والذقن، والوجه في مختلف مناطقه والكتف، والذراع، واليد والصدر، والبطن، والظهر، والفخذ، والأرداف، والقدم، والساقين، وإذا كان الرجل يوشم كتفه وعضده ويده، فإن المرأة توشم سائر جسدها، ولاسيما ما تقدم منه كأن توشم وجهها إلى غاية نهديها، وهذا يحمل في طياته طابعا شهوانيا وجنسيا[30].

ج- الأدوات المستعملة وطريقة الوشم: الأداة أو الوسيلة التي يتم بها الوشم في المنطقة تسمى (المَشْرطَة) ويكون شكلها مثل الابرة من الأسفل حادة في الرأس، ومن الأعلى تكون ملتوية مثل اللولب وأغلب الظن أن شكلها من الأعلى هكذا ليسهل التحكم فيها، والوسيلة الثانية وهي عبارة عن عود الثقاب أو بواسطة شوك شجرة الطاقة (الطاغة) أو الإبرة العادية. أما المادة التي تستعمل في الوشم غالبا هي الفحم المتبقي من النار المستعملة للطهي أو ما يعرف بـ(الرماد الحْمُومْ) أو الكحل.

ويتم تحديد الشكل المراد رسمه من طرف الواشم بواسطة عود ثقاب أو القليل من الحموم على المنطقة التي ينبغي وشمها من الجسم، ثم يتم وخز الرسم بواسطة المشرطة أو الأبرة أو بواسطة شوكة الطاقة، وترك تلك الجروح يخرج منها الدم ثم يوضع عليها الحموم أو الكحل مباشرة، مع محاولة ادخال الكحل أو الحموم في تلك المناطق المجروحة وذلك

https://doi.org/10.34118/jhc.v7i1.4718

ليتفاعل الدم والكحل او الحموم ويدخل في المنطقة المجروحة من الجسم، وبالتالي يأخذ اللون الأخضر ويظهر الرسم أو الوشم بعد مدة قليلة.

وقد كان المتخصص في الوشم بالمنطقة في العادة من أسرة معروفة، ويمكن أن يكون الواشم كذلك متخصصا في علاج بعض الأمراض، بمعنى طبيب المنطقة (الطب الشعبي الذي ارتبط خاصة بكبار السن)، أي الطبيب الذي يداوي الفعص والكسر وعرق لاسا وغيرها من الامراض، وأيضا الذي يقوم بختان الأطفال ختانا تقليديا، كما ارتبطت كذلك مهنة رسم الوشم في المنطقة بفرقة بني عداس في بعض مناطق الولاية.

3- **دواعي (وظائف) الوشم بتيارت:**

أ- الوشم التجميلي: يعتبر الهدف الأبرز والأهم للوشم عند نسوة المنطقة تجميلي، رغم أن أشكاله قد تنوعت، وذلك لقلة وسائل التجميل في مرحلة سابقة، وقد يكون بديلا عن الحلي والأساور والخلخال.. وقد ارتبط جمال المرأة الموشومة في الأعضاء البارزة من الجسم كالوجه واليدين، كما ارتبط الوشم عندهن بمراحل عمرية مبكرة في الغالب، إذ كن صغيرات السن عندما تم رسم الوشم التجميلي عليهن، ورغم أن الكثيرات أبدين عدم معرفتهن بمدلول الرمز الموشوم إلا أنهن أكدن على قيمته الجمالية، وأنه عادة متوارثة، وأنهن كن يتنافسن لوضع الوشم، واعتبرنه رمزا للأنوثة، ومن خلاله تبرز المرأة أنوثتها وجمالها، حتى أن شعراء المنطقة تغنوا بجمال الموشومة والوشم؛ وبالتالي فالوشم كان حاضرا في الشعر الملحون، وكان التغني بالوشم هو تغني بالمرأة وتغزلا بها:

يَا مَا (أمي) هَا مْوَالَك هَاوْ رُدِي علِيَا بكْلَامَكْ أَنتِ زِيْنَة وطَبْعَك وُشَامَكْ

حْلِيْمَة هَا حْلِيْمَة هَا زِينة الهَمة حْلِيْمَة هَا حْلِيْمَة وأنتِ اسم مُو **(أُمه)**

وقيل كذلك في المتوشمة في ليلة عرسها:

يا الزِينَة يا مُولاَتْ العيُونْ كَبَار

الحَنَة في اليَدِين حمراء مْوَاتْيَاتِكْ

وَالوُشَام بِينْ العَيْنْ بلُوْنْ لَخْضَر حَامِيْك

أنتِ صغِيْرَة وَالحَشْمَة بَانَتْ علِيْك

يا مُولاَتْ العَيْن الكَحْلَة نَشْكِيْكْ لله القَادَرْ

أَنَا مَا قْدَرتْ عَلى عْذَابَكْ

https://doi.org/10.34118/jhc.v7i1.4718

وقيل أيضا:

الوَاشْمَة الوَاشْمَة الوَاشْمَة رَسْلَتْلِيْ لْوَاشْ بغَاتْنَي

الوَاشْمَة رَسْلَتْلِي قَابْسَة زَابْدَة (نوع من العطر) وَاشْ بْغَاتْلِي

كما يصاحب عملية الوشم ترديد أبيات شعرية خلال عملية وشم العروسة في زفافها:

جَاتْ الخَاتَمْ جَاتْ الظَلْمَة وَنَوْ (المطر) تْسِيْل جَاتْ الضَيْفَة جَاتْ

ومن بين أهم الرموز التجميلية للوشم في المنطقة نجد:

- **النجمة:** وهي أحد الرموز الفلكية التي انشرت في المنطقة، واعتبر وشما تجميليا، وحسب إحداهن فإن وشم النجمة كان يوضع في ليلة الزفاف وليس قبل هذا اليوم. كما يمكن من ناحية أخرى اعتبارها وشم فأل وذلك لارتباطها بالعدد خمسة في مجتمعنا (الخامسة)، أي أن كل ما يرمز للعدد خمسة يُبعد العين والحسد (ينظر الصورة رقم 01 و08).

- **النقاط:** تعد النقطة أولى أشكال الوشم، وقد وجدت في مواضع عديدة من الجسم، ومدلولاتها عديدة، لكن إن وضعت النقطة على الخدين فوظيفتها هنا تجميلية بالدرجة الأولى. وتوضع كذلك عند بعضهن تحت العين تشبيها بنزول الدمعة. (ينظر الصورتين 02 و03)

- **الخط:** قد يكون خطا أو مجموعة نقاط، وقد اعتبرت الخطوط التي رسمت على جبهة وذقن الأنثى هي الأخرى من رموز التزيين، وفي الذقن ينطلق الخط من الشفة السفلى فيعبر الذقن وينتهي في مؤخرته، وقد يكون في الجبهة بحيث يقسم الجبهة إلى قسمين، وقد يكون خطا واحدا أو أكثر. (ينظر الصورتين 04و05).

علما أن وشم الخط يطلق عليه "السيالة"، ووشم السيالة يوضع على الجبهة وتحديدا في الوسط بين العينين، بمثابة سهم ينزل نحول الاسفل ويحمل على جانبيه قطرات، وقد يكون دلالة على نزول المطر أو طلب نزول المطر، لكن تبقى غايته تجميلية.

- **علامة الزائد أو الصليب:** لا علاقة له بالصليب المسيحي يوضع عادة بغرض الزينة، ومناطق وشمه عادة تكون في الذقن أو الخدين. كما نجده في دائرة على الخدين أو في اليد.

- **النخلة:** ورمز النخلة عادة ما يوشم على الجبهة وهدفة تجميلي، والنخلة حسب نسوة المنطقة ترمز إلى القوة، أي أن على العروس أن تكون كالنخلة في قوتها وشموخها، وتكون ذات أفعال وأقوال حميدة وطيبة كالتمر.

https://doi.org/10.34118/jhc.v7i1.4718

بـــ- **الوشـــم العلاجي:** ارتبط الوشـــم في بعض الأحيان بغايات علاجية وقائية، وقد تنوعت وتعددت الأغراض العلاجية للوشم بالمنطقة:

- **التشـــراط وعلاج مرض الليـل:** وهو نوع من أنواع الوشـــم العلاجي الـذي ارتبط بعلاج الأطفال (بنات وذكور)، ويســـتعمل هذا النوع من العلاج عند مرض الطفل بمرض يســـمى بـ "الليل" ويسمى كذلك بـــ "الجياحة"، وهو أن يصاب الطفل بالحمى والقيء والاسهال الذي يميل لونه إلى الأزرق، وعدم النوم ليلا ونهارا، وبالتالي يكون كثير البكاء، كما يلاحظ أن الطفل يقوم بحك منطقتي الأنف والعينين بكثرة، وهو مرض ينتشـــر في فصـــل الخريف، ويصـــيب الأطفال خاصـــة حديثي الولادة، لذلك يلجأ الوالدين لهذه الطريقة العلاجية، إذ يقوم المعالج أو المُوشـــم بجرح الطفل بواســـطة شـــفرة حلاقة في منتصـــف الجبهة أو تحت الأذن أو في وسـط الرأس بجروح سـطحية عددها سـبعة، وعند البعض ثلاثة جروح، ويضـع فوقها مادة الكحل، وفي أحيان كثيرة كان يصاحب العلاج تلاوة آيات قرآنية وأدعية، وحسب سكان المنطقة (سيد الحسني) فإن هذا العلاج يؤدى يوم السبت في الصباح الباكر (حسبهم لأن حركة الدم تكون بطيئة، وينتج عن الجروح خروج الدم غير الصـالح)، وإن تعذر الأمر لا يتعدى صـــلاة العصـــر. وعادة ما تبقى هذه العلامات على جبهة الصّـــبية حتى بعد كبرهم، ويكون لونها فاتحا، وأحيانا كثيرة لا تبدو ظاهرة للعيان لكنها تُرى مع التدقيق في الجبهة.

- **الفعص:** كما كان للوشـــم وظيفة علاجية أخرى يمكن ملاحظتها خاصـــة في أماكن محددة من أجسـاد النسـوة، إذ نجد هذا النوع على ظهر اليد خاصـة على معصـم اليد، والذي كان غرضه العلاج من الفعص. والمفاصل، وتروي إحدى السيدات (تبلغ من العمر 72 سنة) أنه لما كان عمرها 17 ســـنة، أي ســـنة 1965م اصـــيبت بالتواء (الفعص) في يدها على مســـتوى المعصم، فكان العلاج بالوشم من طرف مختص يسمى بالقطّاع أي مختص في الوشم، الذي رسـم لها شـكلا على هيئة مُعين أو كما يسـميه سـكان المنطقة بعين الحجلة (ينظر الصـورة رقم 06 و 07)، بحيث تكون زوايا المعين كما هو مبين في الصـــورة عند عظام المعصـــم...، بحيث يقوم بالجرح (يشـرط) ثم يمسح الدم بعد عصره (دم متجمد) بالقطن والماء ثم يضع الكحل، وتضيف السيدة أنها شفيت من الفعص بعد العلاج، علما أن هناك عديد الأشكال التي ترسم لعلاج الوشم والتي يتم اختيارها من المُوشم أو الموشوم.

https://doi.org/10.34118/jhc.v7i1.4718

- **علاج البوصـــفير:** وهو مرض نقص الكريات الحمراء من الدم، يقوم المداوي أو الشـــيخ بجرح المريض (شرطه) تحت الأذن اليمنى شرطتان، واليسرى شرطتان، ووسط الرأس من 3 الى 5 شـــرطات ويتم وضـــع البارود على مكان الشـــرط واشـــعاله بالكبريت واخماده في نفس اللحظة.

جـــ- الوشـم الاعتقادي: نجد هذا النوع من الوشـم في المجتمعات التي لا زالت تحافظ على تقاليدها القديمة، فنجد أن الانسـان البدائي قد اعتبر الوشـم تعويذة موجهة ضـد القوى الشـريرة، وهو يعتبر نوعا من التضحية يتقرب بها الى المعبود كي يضمن منه حياة أطول[31]، وتعتبر النســوة في مجتمعنا أن الوشــم الموجود على الجبهة له دلالة دينية يجنبها من عذاب الآخرة، واعتبرن العدد 3 رمزا للفائدة، والعدد 5 أو الأصابع الخمسة (ينظر الصورة رقم 08) سـلاحا موجها للعيون الشـريرة، وعليه يمكن القول أن هذا النوع من الوشـم كان بغرض إبطال الأعمال السحرية أو ضد أعمال الشر أو تميمة واقية من الحسد والعين، ودوره في الحماية من العين وتحميه من حسد الإنسان، كما كان الوشم أيضا رمزا للنجاح والنجاة، ويعد كذلك سبيلا لتحقيق الثروة والغنى والرفاهية عند البعض. وقد قيل عن وشم المرأة أو عند الانتهاء من وشم الحسد والعين:

البنّية صِغيرة القدْ ووشَامْهَا حَامِيْهَا

ونجد من أشكال هذا النوع:

- **الســنبلة:** أو الســبولة التي ترمز إلى التكاثر والخصــوبة، إذ تعتبر الســنبلة من النباتات المذكورة في القرآن الكريم، وهي من النباتات التي اعتمد عليها ســكان المنطقة في معيشــتهم، خاصــة منهم ســكان الأرياف، فالفلاح بعد حرثه للأرض وزرعها ينتظر نمو الســنابل، هاته الأخيرة التي تكون مرتبطة بنزول الأمطار، ونموها بالنســبة للفلاح هو فال خير وبركة، لذلك كانت الســنبلة رمزا للعطاء كما ذكرنا. وتكون الســنبلة في بعض الأحيان مرفقة بنقاط على جانبيها ربما ترمز الى الحبوب المتساقطة من السنبلة.

واتخذت المرأة التيارتية السنبلة رمزا تجميليا للوشم، وهو في نفس الوقت فأل خير عليها وعلى أســرتها، وفأل على كثرة الانجاب والاخصــاب، وقد ذكرت أحداهن أن وشــم السنبلة كان يرسم قبل أن تزف الفتاة إلى بيت زوجها، وبالتالي فالفتاة ستكون كالسنبلة في تكاثرها وانتاجها للأولاد، وبأنها ســتكون بمثابة الخير الذي ســيدخل إلى بيتها الجديد،

https://doi.org/10.34118/jhc.v7i1.4718

وسيجنبها العقم، ولأن الوشم التجميلي كما ذُكر سابقا ارتبط بالأعضاء الظاهرة من جسد المرأة فقد كان يظهر على الجبهة والذقن واليدين خاصة، وقد حرصت الأم بعد ذلك على وشم بناتها بهذا الرمز، لذلك عد وشم السنبلة رمزا لتحدد هوية المرأة الريفية، واعتبرت أخريات هذا النوع من الوشم أو الوشم عامة قديما فألا حسنا لدى الفتيات، على اعتبار أن التي لا تضع الوشم لن يتم خطبتها.

- **الأفعى والعقرب:** كنوع من الاعتقاد ترسمه النسوة حسب ما ذكر لنا في منطقة قصر الشلالة، ويرسم في كاحل أو ساق المرأة، والغرض من ذلك بأن يتمسك الرجل بزوجته ولا يتركها ولا يعيد عليها الزواج، وأنه يبعد العين والحسد، خاصة إذا كانت المرأة جميلة، أو أنها تعيش في رفاهية في بيت زوجها.

- **وشم العياشة أو التابعة (التبيعة):** وهو وشم فأل وطرد النحس في المجتمع التيارتي، مرتبط بالمرأة والرجل سواء (الزوج والزوجة)، إذ تقوم بهذا الوشم المرأة التي لا يبقى أولادها على قيد الحياة سواء كانوا إناثا أو ذكورا، لذلك تقوم الزوجة بالوشم على مستوى المرفق أو على مستوى الساق من الجهة الخلفية، وإذا وشمت الزوجة مثلا المرفق الأيمن يقوم الزوج بوشم المرفق الأيسر والعكس، بالتالي فالغرض منه هو حماية المولود أو الجنين، وطرد النحس أو الحسد.

د- الوشم التذكاري: يعتبر هذا النوع من الوشوم قديما جدا، وسمي تذكاريا لأنه كلما نظر إليه صاحبه تذكر مضمونه وظروف وشمه، والأمثلة عديدة، فقد ورد في تفسير الطبري أن النبي داود عليه السلام رسم خطيئته على كفه اليمنى، أي وشمها فما رفع إلى فمه طعاما وشرابا إلا بكى إذا رآها، ومعنى ذلك أنه كان كلما رفع يده ونظر إلى الوشم على كفه تذكر خطيئته التي كان عليه أن لا يرتكبها بصقته نبي الله وليس شخصا عاديا[32]. وجاء في سفر الخروج أن النبي موسى عليه السلام قال: [8**«وَتُخْبِرُ ابْنَكَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ قَائِلاً: مِنْ أَجْلِ مَا صَنَعَ إِلَيَّ الرَّبُّ حِينَ أَخْرَجَنِي مِنْ مِصْرَ.** 9**وَيَكُونُ لَكَ عَلاَمَةً عَلَى يَدِكَ وَتَذْكَاراً بَيْنَ عَيْنَيْكَ لِتَكُونَ شَرِيعَةُ الرَّبِّ فِي فَمِكَ. لأَنَّهُ بِيَدٍ قَوِيَّةٍ أَخْرَجَكَ الرَّبُّ مِنْ مِصْرَ**][33]. أي أن العلامة على اليد والتذكار ما بين الأعين ما هي إلا وشوم فرضت على صاحبها ليتذكر دوما شريعة الرب، وتبقي خطابه اليومي الموجه للآخرين.

https://doi.org/10.34118/jhc.v7i1.4718

- **خاتمة:** من خلال هاته الدراسة عن الوشم الانثوي أو وشم المرأة التيارتية يمكن استنتاج مجموعة من النقاط:

- عرف الوشم في منطقة تيارت منذ القدم كغيره من مناطق الجزائر.

- التشابه الكبير في رسومات وأشكال الوشم بين منطقة تيارت وباقي مناطق الجزائر ولذلك لتشابه الخصائص والظروف (الاستعمار، الفلاحة، الفقر.....).

- تعدد واختلافات غايات المتوشمات بين من تعتبره نوع من التجميل وبين من اتخذته علاجا...

- تداخل غايات الوشم في كثير من الأحيان كاعتباره علاجا وتزيينا في نفس الوقت.

- عبر الوشم في مرحلة معينة من تاريخ الجزائر بصفة عامة وليس تيارت فقط عن هوية المرأة الجزائرية، لذلك يمكن اعتباره ظاهرة هوياتية حضارية مكتوبة.

- يمكن اعتبار الوشم مصدرا مهما للمتخصصين في الانثروبولجيا والتاريخ في دراسة تاريخ المنطقة في مراحل سابقة، وعن دور المرأة في المجتمع المنطقة، إذ يمكن من خلال قراءة تلك الوشوم التعرف على بعض الصفات الخاصة بصاحبها وثقافته التي يحملها.

- ارتباط نوع الأشكال الموشومة بالظروف المحيطة بالمرأة التيارتية، من ظروف اجتماعية، اقتصادية، سياسية (الاحتلال الفرنسي) وطبيعية.. وهو ما انعكس على الوشم وأدى إلى تنوع رسوماته وأشكاله. ضف إلى ارتباط رموز الوشم وتشابها مع رموز أخرى عرفت مثلا في الزربية، ورسومات وجدت لتزيين المنازل وغيرها..

- جهل المرأة لدلالات العديد من الرموز الموشومة على جسدها..

- ارتباط الوشم الذكوري بالمرأة، وذلك لأن الرجل قد أراد التعبير عن قوته ورجولته عن طريق الوشم، كما عبر عن حبه لها من خلال رسمه لأشكال تعبر عن ذلك (القلب، الزهرة، اسم المحبوبة..)، وعليه فحتى الوشم الذي وضعه الرجل لم يكن بمنأى عن تأثير الأنثى. كما عبر أيضا عن سلوكيات أخرى مرتبطة بالرجل كالانعزال، التمرد والسخط، القوة، الشجاعة، الانحراف.... أما بالنسبة للمرأة فيعد الوشم علامة على النضج والبلوغ، ومؤشرا على الاستعداد للزواج، ودليل على الرغبة في بناء الأسرة، أو للعلاج.

الملاحق:

https://doi.org/10.34118/jhc.v7i1.4718

الصورة رقم (1):النجمة

https://doi.org/10.34118/jhc.v7i1.4718

الصورتين رقم (06) (07):لعلاج الفعص ووقد يكون تجميلي في وقت واحد

الصورتين رقم (02) (03): النقطة مع أشكال أخرى

الصورتين رقم (04) (05): الخط أو السيالة

https://doi.org/10.34118/jhc.v7i1.4718

الهوامش

(1)- أبا الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور (ت 711ه)، **لسان العرب**، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، مج 06، باب الواو، دار المعارف، القاهرة، (د.ت). ص 4845.

(2)- فتيحة كركوش، مدخل انثروبولوجي لممارسة الوشم، مجلة العلوم الانسانية، المجلد 05، العدد 02، كلية العلوم الانسانية والاسلامية، جامعة وهران 1، 2016، ص 358. ينظر كذلك: عبد النور بن سليمان، **الممارسات الغير الطبيعية للجسم الوشم أنموذجا**، رسالة لنيل شهادة ماجستير في الانثروبولوجيا، معهد الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، موسم 1998/1997، رسالة غير منشورة، ص 42.

(3)- محمد فنخور العبدلي، الكلام الموشوم في بيان حكم الوشوم، محافظة القريات، جمادي الأولى، 1432ه alfankor@hotmail.com

(4)- عبد الحكيم خليل سيد أحمد، التجليات الرمزية للوشم في المعتقد الشعبي بين الخصوصية الثقافية والثقافة الشعبية، المؤمر الرابع للفن والتراث الشعبي الفلسطيني، من 6-10 اكتوبر 2012م، كلية الفنون الجميلة، جامعة النجاح، فلسطين، ص 03.

(5)- زينب عبد التواب رياض خميس، الطوطمية بين السحر والدين في عصور ما قبل التاريخ بإفريقيا، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، المجلد 07، العدد 14، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2018، ص 248.

(6)- عبد الله الخريجي، **علم الاجتماع الديني**، ط2، ملتزم التوزيع رامتان، جدة، 1990، ص 45-46.

(7)- فراس السواح، **دين الإنسان** (بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني)، ط1، دار علاء الدين، سوريا، 2002، ص 179- 180.

(8)- فراس السواح، المرجع السابق، ص30.

(9)- عبد الله الخريجي، المرجع السابق، ص 46.

(10)- سعدون محمود الساموك، **موسوعة الأديان والمعتقدات القديمة** (العقائد)، ج1، ط1، دار المناهج للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2002، ص 29-30.

(11)- سيغموند فرويد، **الطوطم والتابو**، تر: بو علي ياسين، ط1، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، 1983، ص 23-24.

(12)- زينب عبد التواب رياض خميس، المرجع السابق، ص 249.

(13)- هناء عباس عليوي كشكول، الوشم في الشعر الجاهلي دراسة في ضوء الواقع الاجتماعي، مجلة آداب الكوفة، المجلد الأول، العدد 30، كلية الآداب، الكوفة، 2017، ص 370.

(14)- عبد الحكيم خليل سيد أحمد، المرجع السابق، 04.

https://doi.org/10.34118/jhc.v7i1.4718

([15])- هناء عباس عليوي كشكول، المرجع السابق، ص 370.

([16])- ناجي عباس إبراهيم مطر الركابي، الوشم والرمزية الثقافية، مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية، العدد 08، المركز الديمقراطي العربي، جويلية 2019، ص 94.

([17])- عبد الحكيم خليل سيد أحمد، المرجع السابق، ص 05.

([18])- هناء عباس عليوي كشكول، المرجع السابق، ص 376-377.

([19])- ديوان زهير بن أبي سلمى، شرح وتحقيق: علي حسن فاعور، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 119.

([20])- نفسه، 122.

([21])- ديوان عنترة، تحقيق ودراسة: محمد سعيد مولوي، المكتب الاسلامي، (د.م)، (د.ت) ص 268.

([22])- ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، تحقيق: محمد حسين، مكتبة الآداب بالجماميز، القاهرة، (د.ت)، ص 277.

([23])- العسقلاني أحمد بن علي بن حجر (ت 852هـ)، **فتح الباري بشرح صحيح الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري**، تق وتح: عبد القادر شيبة الحمد، ج10، باب اللباس، ط1، (د.ن)، (د.م)، 2001، ص 391، رقم الحديث 5943. رواه البخاري.

([24])- عبد الحكيم خليل سيد أحمد، المرجع السابق، ص 05-06.

([25])- سورة النساء، الآية 119.

([26])- أبي الفداء اسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (ابن كثير) (ت 774هـ/1372م)، **تفسير القرآن الكريم**، ج1، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 2002، ص 821.

([27])- آمنة محمود شيت خطاب، حقيقة الوشم من الناحية الشرعية والطبية، مجلة الأستاذ، المجلد 01، العدد 209، 1435 هـ، ص 367-368.

([28])- عبد الحكيم خليل سيد أحمد، المرجع السابق، ص 15.

([29])- عبد النور بن سليمان، المرجع السابق، ص 10.

([30])- جميل حمداوي، **ظاهرة الوشم في الثقافة الأمازيغية** (مقاربة سيميو- سوسيولوجية)، ط1، (د.ن)، المغرب، 2016، ص 14.

([31])- عبد النور بن سليمان، المرجع السابق، ص 55-56.

([32])- أبي جعفر محمد بن جرير (الطبري) (ت 310هـ/923م)، **تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن**، تح: عبد الله عبد المحسن التركي، ج20، ط1، هجر للطباعة والنشر، القاهرة، 2001، ص 73.

([33])- سفر الخروج (13: 8-9)